

الفصل الثامن

[انفعالات مبهمة]

لحسن الحظ لم يتم استدعائي للتحقيق في اليوم التالي، معنى هذا أنهم أدركوا كذب ما قيل عني.. حاولت إنهاء فطوري بسرعة ذلك الصباح والتوجه للمنجم قبل خروج أمجد... شعرت بضيق شديد لفكرة مواجهته، ولم أدر سبب ذلك.. لو كان حديثه قد ضايقني فكلمات قليلة مني ستصده للأبد وتمنعه من التفوه بحماقات كالتي سمعتها منه الليلة الماضية.. فلماذا أخشاه الآن؟ ليس من عادتي خشية أحد، لكنني تمنيت حقاً في هذا الصباح أن أتجنب رؤيته والحديث معه.. لكن تلك كانت أمنية عزيزة التحقق.. إذ فور نهوضي بعد إنهاء فطوري وجدته يقف أمامي مبتسماً ابتسامة مربية، وقال بلطف "صباح الخير" توجست من ذلك اللطف الغريب، فدممت بإجابة مبهمة وأنا أحاول منع نفسي من الإشاحة بوجهي لئلا أسيء له، خاصة مع رؤية العلامة التي تركها سلاح الحارس على وجهه، والتي كنت سبباً فيها.. حاولت التوجه للمنجم بصمت، لكنه أمسك ذراعي بشكل كدت أقفز له وهو يسألني بقلق "هل أنت بخير؟ لقد تعرضت لعدة إصابات بسبب الانفجار البارحة.. فهل أنت أفضل الآن؟" قلت بسرعة وأنا أحاول جذب ذراعي "أجل.. بخير.. لا تقلق" لم يفلتني وهو ينظر لي وابتسامة ترتسم على جانب فمه، وسألني "ما بك؟ تبدين مرتبكة..". قلت بسرعة "لقد تأخرت عن العمل.. وأخشى أن يعاقبوني على ذلك..". رفع حاجبيه متسائلاً "حقاً؟" أدت وجهي بعيداً وأنا أقول "ألا ترى الجميع قد كادوا يرحلون باتجاه المنجم؟ لست بحاجة لسمعة سيئة فسمعتي قد تحطمت تماماً لدى الإدارة" عندها أفلتني بصمت، فاستدرت وابتعدت عنه بخطوات سريعة.. مجنونة أنا لأنفعل بهذا الشكل المبهم لحديث عاديٍّ يدور بيننا.. أصبحت لا أطيق النظر في عينيه، ولست أدري السبب.. وهذا أكثر ما يثير تعجبي في نفسي..

مرّ نهاري عادياً، لكنني شعرت بحرق شديد من نفسي.. لماذا عاملت أمجد بهذه الطريقة؟ ولماذا انفعلت

لأسباب واهية؟ كرهت هذا، وكرهت ما قد يظنه بي.. لكل ذلك قررت أن أستعيد هدوئي وأعامله كالبقية دون انفعال.. ولذلك أيضاً لم أشأ الهروب تلك الليلة رغم أنني كنت أودّ ذلك من كل قلبي، لكنني أجبرت نفسي على الجلوس معهم في زاويتنا المعتادة وإن انشغلت بالحديث على الأغلب مع بسمة التي كانت تشتكي من ظروف عملها الصعبة، وهي غير قادرة على الاعتراض على أي شيء رغم ضيقها.. بعد فترة من الوقت، تركنا أدهم ليعود لمسكنه، وتبعته بسمة بخطوات حثيثة كالعادة وإن ظلت خلفه بعدة خطوات لا تتجاوزهن.. عندها توترت رغماً عني وهممت بالنهوض بدوري، عندما سمعت أمجد يناديني بصوت خافت.. تلقائياً رفعت بصري ونظرت له ربما للمرة الأولى تلك الليلة، وندمت على ذلك على الفور.. ففور أن التقت عينانا شعرت بتوتر شديد وتوجس حتى كدت أقفز واقفة وأهرب لمسكني، وهو ما لم أعرف سببه.. كانت عيناه قد اكتستا بلطفهما الذي لا يظهر إلا عندما أكون معه وحدنا، وسألني بصوته الهاديء "ما الأمر يا حمراء؟ ألاحظ أنك تتجنبين النظر إليّ اليوم.. هل أنت غاضبة من شيء فعلته؟"

أسرعت أدير بصري رغماً عني مجيبة "لم أتعمد هذا أبداً"
قال بلوم "ها أنت تفعليها مجدداً.. هل تكرهين رؤيتي لهذه الدرجة؟"
قلت مقطبة وأنا أدفع نفسي للنظر إليه "من قال ذلك؟ لا تفسر الأمور على هواك.."
ظل ينظر لي محاولاً فهمي، لكن هذا عسير.. أنا أعجز عن فهم نفسي، ولم أعد أبذل جهداً للمحاولة البتة.. سمعته يقول "أحقاً لست غاضبة؟ أنت لم تؤكدي لي ذلك حتى الآن"
وجدتني أسأله بهجوم "ما الذي تريده مني بالضبط؟ لماذا أصبحت معاملتك لي مختلفة عن قبل؟"
أجابني بابتسامة "أخبرتكَ بالسبب.. لأنني...."
قاطعته بشيء من الحدة "عذر غير مقبول.. ماذا تعني باهتمامك بي؟ أخبرتك من قبل ألا تعاملني كفتاة الآن.. فأنا أكره هذا.."
قال مقطباً "وكيف تريدين مني معاملتك؟ أنت فتاة مهما حاولت تجاهل ذلك.. إن كنت ستكرهيني لأنني أحاول الدفاع عنك ومساعدتك في بعض الأوقات فافعلي ما يحلو لك.. لكن لا تطلبي مني أن أبتعد عنك وأتجاهلك.."

نهضت واقفة بشيء من العصبية لم أملكها قائلة "يبدو ألا فائدة من الحديث معك.."
واستدرت راغبة بالعودة لمسكني.. لا فائدة من حرق أعصابي معه في جدال عقيم.. فوجدته يقبض يدي قائلاً بسرعة "لا تذهبي الآن.. ابقِ قليلاً.."
نظرت له بعصبية، فقال متردداً "أريد أن أعرف أكثر عن استجوابهم لك.. ما الذي سمعته بالضبط في غرفة المسؤول ذاك؟"

ترددت قليلاً، ثم عدت لأجلس لأنني لم أرغب بأن أبدو كمن يريد الفرار، واستجبت لأسئلته شارحة بالضبط ما دار من حوار في تلك الغرفة.. وبعد فترة، لاحظت أن أمجد لم يكن يستمع لي حقاً.. كان ينظر لي بصمت في أحيان كثيرة، وفي الأخرى يسرح فيما لا أعلمه.. وبعد أن انتهيت، صمتُ بانتظار تعليقه، لكنه لم يفه بكلمة وهو سارح بفكره، فسألته بريية "لماذا سألتني عما حدث هناك وأنت غير مهتم به حقاً؟ ما هدفك من هذا؟" ابتسم معلقاً "أنا مهتم بالفعل بما حدث هناك.. لكنني أردت أن استبقيك قليلاً.. لم أرد أن ترحلي وأنت غاضبة.."

ظلت أنظر له بدهشة وعدم فهم.. ما هدفه من هذا كله؟ ما هدفه من تلك الكلمات التي تصيبنني في الصميم، وتقلب كياني تماماً؟ والأقصى أنني لا أعرف إن كان صادقاً فيها أم لا.. لم أعرف بم أرد عليه، فنهضت وغادرت بسرعة وأنا صامته متجاهلة ندائه تماماً.. وفي مسكني، جافاني النوم وأنا أزفر مفكرة في حالي العجيب معه.. لماذا لم أصدده بقوة ليبعد عني؟ لست بحاجة لمثل هذه الانفعالات.. ليس هنا وليس الآن.. ربما لو كنت على الأرض لسعدت كثيراً بهذا ولتقبلته بحبور، أما هنا، فأشعر أنه يثقل كاهلي ويصرفني عن مهمتي الكبرى.. والأدهى أن قلبي لا يطاوعني في شيء مما أريده.. تباً لك يا قلبي الصغير الأحمق..

مر يومان منذ تلك الليلة، حاولت فيهما أن أنسى تلك المحادثة دون أن أفصح في ذلك.. وفي ليلة، أنهيت عشائي وجلست أمام مسكني مطرقة أفكر في حالي مع أمجد.. لست أدري لم أصبح وجوده يزعجني.. ولم أصبحت أضيق وأهرب من أي لطف يبيده.. إنه لطيف مع الجميع، صحيح أنه كان يعاملني كذلك منذ البداية، لكن بدأت نظرات تتبدى في عينيه توترني وتجعلني أتحاشاه ولست أدري لماذا..

هل أكرهه؟ لا أعتقد ذلك.. إذاً لماذا أتهرب من كلماته ولطفه؟ حقاً أصبحت أتعجب من نفسي يوماً بعد يوم..

لاحظت، من موقعي المتطرف، بسمة قادمة من عملها والضيق يعلو وجهها.. كانت قد تأخرت مع بعض السجناء كما يفعلون عادة للمساعدة بأي أعمال إضافية، وكانت تنظر ليدها بآلم.. مرت في سيرها نحو مسكنها بأمجد الذي جلس في زاويتنا ينتظرنا، فرأيته يبادرها الحديث ويبدو

أنه يسألها عما بها.. ثم بعد نظرة ليدها التي بدت لي تحمل جرحاً غير عميق، طلب منها أن تجلس وتنتظره وأسرع مبتعداً.. وقفتُ واقتربت من بسملة متسائلة "ما الأمر؟ هل أنت بخير؟" قالت وهي تمد يدها تجاهي "لقد جرحتني إحدى الآلات وأنا أقوم بتشغيلها كما طلب مني الحارس.. وهي تؤلّني كثيراً"

ثم دمدت وهي تضغط على جرحها بيدها الأخرى "إنه لم يعرض عليّ أي مساعدة بل انتهرني وطردني من الموقع"

رأيت أمجد يعود في تلك اللحظة حاملاً بعض العدة البدائية لعلاجها، والتي لا تتعدى عبوة ماء وبعض الأربطة التي يبدو أنه مزقها من ملابسه.. فجلس قربها وتناول يدها ليقوم بتنظيف الجرح ومن ثم ربطه حتى يتوقف الدم..

رغمًا عني تعلقت عيناها بهما وأنا بدهشة من صمت بسملة وهي التي عادة تقفز مذعورة عند اقتراب أي رجل منها.. لكنها الآن بدت هادئة مستسلمة لأمجد الذي يعالج جرحها بكل عناية.. ظللت أنظر لهما وأنا أشعر بشيء من عدم الراحة يتملكني.. لم؟.. لست أدري..

حانت مني التفاتة عندما لمحت شخصاً يقف على مبعدة، فرأيت أدهم يقف في جانب آخر وينظر إليهما بصمت.. رأيت نظرة مبهمة ترسم في عينيه.. ولما رأني أطرق برأسه وابتعد بهدوء دون أن ينتبه الاثنان إليه..

لا شعورياً تبعت أدهم حيث سار تاركة الاثنان ينعمان بوقتتهما معاً.. رغم جدالاتنا الدائمة شعرت بشيء في ملامح أدهم دفعني لأتبعه.. فرأيتته جالساً على صخرة تطلّ على الغابة المحيطة بالمساكن وهو ساهم الفكر.. ولما سمع خطواتي التفت إليّ بدهشة للحظات قبل أن يعود لجلسته السابقة.. فسألته بعد صمت قصير "ما بك؟ تبدو مصدوماً.."

صمت فاركاً كفيه للحظات قبل أن يغمغم بتردد "أظنن.. أن بسملة تحمل اهتماماً تجاه أمجد؟" نظرت له بشيء من العجب، ثم تساءلت "أيهمك هذا؟"

ظل صامتاً وحركاته تزداد عصبية، فكانت تلك أوضح إجابة تلقيتها منه.. فتنهدت وأنا أجلس على صخرة قريبة مجيبة "لست أدري حقاً.. لكن ما الذي يمنع؟.. إنهما يناسبان بعضهما البعض.."

نظر لي بدهشة وصدمة، فقلت مبتسمة "إنها تحمل خوفاً عميقاً منك.. لذلك لا أظنها تحمل أي اهتمام تجاهك.. فلم لا تصرف النظر عنها؟"

بانث المرارة في عينيه، قبل أن يقول "وهل أملك شيئاً من ضخامتي وصوتي الخشن هذا؟"

اتسعت ابتسامتي وأنا أجيب "لم يقل أحد أن هذا ذنبك.. لكن هكذا هي الحياة.. ونحن لا نملك لها تغييراً.."

عاد يتنهد وهو يطرق بصمت.. ربتُ على كتفه وأنا أتعاطف معه للمرة الأولى.. وقلت له "لا تقلق.. حتى لو كنت شرس المظهر ومخيفاً، ستجد يوماً الفتاة التي تكتشف قلبك الطيب وتحبك مهما كان شكلك.." غمغم "أنت تحلمين.."

ملت تجاهه مغمغمة "من يدري.. ربما تجد أن الفتاة الناعمة الجميلة إياها قد يخفق قلبها لرجل مثلك، لو أولاهها اهتماماً أكثر وتغلب على ما يخيفها فيه"

نظر لي بدهشة وهو غارق في التفكير، عندما تعالى صوت من خلفنا يقول "ما الذي تفعلانه؟" نظرت خلفي لأجد أمجد يقف قريباً منا.. وقد وجه لنا نظرات حادة جهلتُ معناها، فابتسمت مجيبة "مجرد نصائح.."

اقترب أمجد وجلس قريباً معلقاً "لم أعرف أن أدهم بحاجة للنصيحة.." اتسعت ابتسامتي وأنا أجيب "هناك الكثير مما لا تعرفه في هذا المكان.." أحاطتني نظرات أمجد مجهولة المعاني مرة أخرى.. فيما اعتدل أدهم معلقاً "شكراً لك يا حمراء.. أنا لن أنسى لك ذلك"

وابتعد عنا وقد بدا عليه شيء من الانشراح أزال الكآبة السابقة.. فيم ظل أمجد جالساً دون حراك.. ولما التفتُ إليه وجدته يحدجني بنظراته الصامته، عندها قطبت قائلة "ما الأمر؟ إن كنت تريد قول شيء فلا تصمت وتوترني بنظراتك هذه" ابتسم معلقاً "نظراتي توترك؟"

قلت متحدية "أجل.. لأنني أجهل معناها.. فما الذي تريد قوله حقاً؟" مد يده وأزال ورقة شجر كانت عالقة في شعري، فيما شعرت أنه يتلمس خصلاته لوهلة قصيرة، قبل أن يرمي الورقة بعيداً قائلاً "لماذا أنت عدائية هكذا دائماً؟"

كذبتُ ما شعرت به للحظات وأنا أجيب "وما المفترض أن أفعله مع أناس أجهلهم في بيئة أجهلها وفي ظروف معادية؟ لا تتوقع مني أن أكون كبسمة اللطيفة الرقيقة دائماً"

قطب معلقاً "لماذا تستهزئين بالفتاة دائماً؟ ما الذي يسبب ضيقك منها؟" كدت أقول إنها معاملته غير العادلة لها.. لكن لم أكن أريد أن أبدو بهذه الغيرة.. لا يمكن أن أغار من فتاة مثلها أبداً، فقلت هازة كتفي "لست أضيق منها.. لكنني أجد تصرفاتها غير منطقية أبداً ومفتعلة.."

ابتسم قائلاً "هي لم تحاول افتعال تصرفاتها بل هي على طبيعتها.. لكنني أشعر أنك تفتعين عدائيتك هذه وعنفك.. أنت لست هكذا حقاً لكنك لا تريدين الظهور بمظهر الضعيفة"

قلت مشيخة "احتفظ بالتفسيرات لنفسك.. ولا تشغل نفسك بي كثيراً"

قطع حديثنا صوت صراخ قادم من الساحة وسط المساكن.. فهبينا واقفين واندفعنا إلى هناك بسرعة معاً.. وفي وسط الساحة، في قلب جمع من الرجال والنساء الذين وقفوا يتفرجون على ما يجري، كان أدهم يقبض أحد الرجال من مجمع ثيابه ويرفعه عن الأرض.. بدا وجهه مخيفاً في غضبته وهو يهمس للرجل المذعور بشيء لم نسمعه.. وقبل أن نصل إليه كان قد لكم الرجل لكمة قوية أطاحت به عدة أمتار للوراء.. وقفت وأمجد مذهولين لما يجري.. فرغم غضب أدهم السريع إلا أنه كان يتجنب ضرب أحد بعد تلك المرة، وكأنه قد ندم على ما ارتكبه من قبل..

حانت من أدهم التفاتة فرأى بسمة واقفة مرتجفة وهي تغطي فمها بيديها.. نظرت إليه بنظرات مرتاعة، ثم انطلقت تجري لمسكنها لا تلوي على شيء..

وإزاء نظرات أدهم المحبطة شعرت أنني فهمت ما يجري، فيم اقترب أمجد من الرجل يحدثه ويطمئن عليه.. أما أدهم فقد حوّل بصره إليّ في نظرة تحمل لوماً عميقاً.. عندها أطلقت ضحكة صغيرة أثارت تعجب من حولي قبل أن أقترّب من أدهم وأجذبه من ذراعه بعيداً عن الحشد..

رأيت أمجد يقف مقطباً والنظرات ذاتها التي لا أفهمها ترسم في عينيه، لكنني قررت تجاهل ما لا أفهمه وأنا أهمس لأدهم "يا لك من طفل.. ما الذي ظننت نفسك فاعله؟"

قال لانماً بحنق "لقد فعلت ما قلته لي بالضبط.. لكنها الآن تكرهني ولا شك"

ضحكت مرة أخرى وأنا أقول "وهل الاهتمام هو برمي اللكمات في كل اتجاه؟ تعال معي.. أمامك طريق طويل لتدرك كيف تكسب ثقة فتاة، ناهيك عن اهتمامها.. لكن لا أريد أفعالاً درامية لو سمحت.. يكفي كل ما نمرّ به"

قال أدهم بغیظ "لقد كان الأحق يزعجها بحديثه اللزج وتفاهاته البغيضة.. بدا أنها متضايقة منه جداً.. ولم يرتدع عندما طلبتُ منه تركها وشأنها"

قلت له "لكماتك تلك أظهرت لها كم أنت بدائي وغير متحضر.."

بعد فترة طويلة قضيتها مع أدهم وأنا أحاول إفهامه ما الذي يجب أن يفعله، أو بالأصح ما الذي يجب ألا يفعله من وجهة نظري لنلا يزيد دعر الفتاة منه، تركني أخيراً بعد أن أصابه الملل وعاد لمسكنه، فيما فضّلت أنا البقاء مكاني أتأمل القمر الصناعي المنير فوقني.. حاولت أن أستمتع بمنظره في السماء السوداء.. لكنه بدا صناعياً جافاً خالياً من أي تعبير.. تنهدت وأنا أشعر بضيق شديد عندما سمعت من يخطو خلفي قبل أن يصلني صوت أمجد قائلاً "أصبحت هناك الكثير من الاجتماعات السرية تدور في المسكن.. ما الذي يجري هنا؟"

نظرت إليه ولم أتمكن من معرفة ما يدور بخلدّه فقد كانت ملامحه عادية هادئة.. فقلت له مقطبه "بل أنت أخبرني ما الذي يجري هنا.. أكاد أراك أمامي كلما التفتُّ اليوم.. هل هناك ما يثير الشك في

تصرفاتي لتراقبني بهذا الشكل؟”

ابتسم أمجد معلقاً “لي أسبابي الخاصة.. لكن ما الذي يدور حقاً بينك وبين أدهم؟”

قلت مشيخة بوجهي “لي أسبابي الخاصة أيضاً..”

جلس أمجد قريباً وقال بصوت خافت “غير لطيفة أبدأ..”

نظرت له مقطبة، فتجاهلني تماماً وهو يتطلع للقمر بصمت.. فصمتُ بدوري وأنا أعود لأدهم بأفكاري..

كنت أريد حقاً أن أساعده.. لست أدري لماذا.. وكأنه يعكس كل الصفات التي أبغضها في نفسي..

وكان تقبل بسمه له هو تقبل لي بكل ما أحمله من نواقص.. ثم إن أدهم شخص طيب حقاً، وبسمه

محظوظة حقاً إن أولها اهتمامه..

حانت مني التفاتة نحو أمجد لأجده صامتاً يتأملني.. شعرت أنه في تلك اللحظات قد قرأ أفكاري

كلها مما جعل الدماء تصعد لرأسي وأنا أقطب كالعادة قبل أن أقول له “ما الأمر؟ هل هناك ما يلفت

الانتباه في وجهي؟”

ابتسم ابتسامة بدت لي مريبة قبل أن يجيب “بالفعل..”

وصمت عازفاً عن إكمال إجابته مما أحقنني.. إنه يعبث بي.. يستمتع بنطح عصبيتي بهدوء ليرى من

الأكثر ثباتاً.. فأشحت بوجهي من جديد زافرة بحق واضح كي أبين له ضيقي منه.. لكنني وجدته

ينحني فجأة تجاهي ويلمس خصلة من شعري من الخلف قبل أن يتراجع مغمماً “كانت تلك حشرة

علقت في خصلات شعرك”

قلت بريية وحدة “حقاً؟ أنا لم أرَ حشرة منذ وطئت قدماي أرض الكويكب..”

لم يجب إنما ابتسم ابتسامة مريبة أخرى.. فنهضت بعصبية وغادرت المكان عائدة لغرفتي.. غداً يوم

شاق كالعادة وأنا بحاجة للراحة.. لن تفيدني في شيء هذه الانفعالات المبهمة مع ذلك الرجل..

جلس مقطباً ينظر ليديه الملفوفتين برباط أبيض.. العرق يسيل على صدغيه وهو يزفر بقوة بعد المجهود

الشاق الذي قام به قبل قليل.. ولا تزال صيحات التشجيع تصم أذنيه رغم بعد الغرفة التي يجلس فيها

عن القاعة الواسعة..

رفع بصره ينظر للرجلين بالبذلات الراقية الغالية الثمن، ويحيط بهما ثلاث رجال مفتولي العضلات

يرمقونه بنظرات باردة فيها تحذير شديد اللهجة.. ثم سمع أحد الرجلين يقول بابتسامة “إذن؟ ماذا

قررت؟ لا أريد أن أسمع أخباراً تعكر مزاجي رجاء..”

فقال ببرود "أنت تعني أن أوافق على ما تقوله دون قيد أو شرط؟"
فتح الرجل ذراعيه قائلاً "ألا يكفي ما سنمنحك إياه؟ ستحصل على ما لا تحلم به.. المجد والشهرة..
المال والكثير الكثير من المال.. فقط عليك أن تكون مطيعاً"
اعتدل في جلسته وقال بجفاء "أنت تريد مني المشاركة في مسابقات غير شرعية.. ألا تعلم ما
سيحدث لي لو كشف اشتراكي بها؟ سألغى من اتحاد الملاكمة وسأمنع من المشاركة في أي مباراة
مستقبلاً.."

قال الرجل بابتسامة "وماذا في ذلك؟"
فقال بحدة "أتظنني لا أعلم ما يدور في مثل تلك المسابقات؟ غسيل أموال، رهانات غير شرعية،
وأشياء أخرى أعنف من ذكرها.. أتريدني أن أنحدر لهذا المستوى دون سبب مقنع؟ أنا أحقق نجاحات
جيدة في المباريات الرسمية ولا أريد التخلي عن كل هذا الآن"
قال الرجل وابتسامته تتسع "يبدو أنك أنت من لا يفهم.. أنسيت المبالغ الطائلة التي اقترضتها منا؟
أنت لم تسدد ربع القيمة حتى الآن.. إما أن تستجيب لمطالبنا أو نطالبك بتسديد المبلغ الآن.. والحل
الأخير هو دخول السجن وعندها ستفقد كل ما جنيته هنا.."
قال بغیظ "أيها الوغد.. أنت وعدتني أنك....."
قاطعته الرجل ببرود "وعدتك وأنا لم أنس وعدي لك.. أنت غير مجبر على الدفع الآن، كل ما عليك فعله
هو إطاعتنا.."
ثم مال تجاهه بابتسامة قائلاً "صدقني.. لن تندم على ذلك أبداً.."

مرت عدة أيام حاولت فيها تجنب أمجد ما استطعت، وإن لم أستطع منه فكاكاً.. والذي يحزنني أكثر
أنه غير لحوح أو يتصرف بقلّة تهذيب.. بل هو هاديء ومهذب في كل شيء بحيث يصعب عليّ الإساءة
له بأي كلمة..
طبعاً لم أنسَ أنني أخطط للهرب من جديد.. هذا شيء لا ينسى في هذا المكان.. لكن كيف أستطيع
إحكام خطتي الجديدة ووجه أمجد يبرز أمام عيني كلما انشغلت بالتفكير.. كيف أستطيع التركيز
وابتسامته الهادئة تغافلني وتضعف تركيزي على الفور.. بل كيف أتقدم في خططي وعيناه تشغلاني
عن ذلك؟..
ذلك الذي يحدث لي له اسم محدد.. له صفة محددة.. لكنني أتجاهلها وأصبّ جام غضبي على عقلي

الذي تشتت تركيزه لأسباب ضعيفة..

حاولت قبل خلودي للنوم، وقبل انقطاع الأضواء، أن أحكم خطة جديدة لهروبي بعزم هذه المرة.. وكدت أشد شعري غيظاً وأنا أجد عقلي عاجزاً عن التفكير، رغم أنني لم أجتمع بالبقية هذه الليلة وفضلت الانعزال وحيدة حيث جلست أمام مسكني.. لذلك لكم أن تتخيلوا مدى الإزعاج الذي سببته لي رؤية أمجد حيث ركع على مقربة يتأملني بصمت، فقلت مغلفة ضيقي ببرود "ما الذي تريده الآن مني؟" قال ونظراته تحمل تعجباً شديداً "سمعتك تهذين وأنت جالسة بمفردك فأتيت أستطلع الأمر.. من هذا الذي تشتمينه لأنه يسبب لك الإزعاج؟ أخبريني بهويته وسأخلصك منه تماماً"

كتمت ضحكتي وأنا أقول بسخرية "شكراً.. لن تستطيع ذلك البتة"

يبدو أنه فهم ابتسامتي الساخرة على وجه خاطيء، إذ سرعان ما ارتسمت ابتسامة على شفتيه، وقال وعيناه تكتسيان بلطفهما الذي بت لا أعرف كيف أتصرف إزاءه "هكذا تبدين أفضل.. لقد أصبحت متجهمة الوجه كلما رأيته مؤخراً، ولا أرى ابتسامتك هذه إلا نادراً.. في الواقع لقد افتقدت رؤيتها حقاً"

صعدت الدماء لرأسي، ولابد أنها أضحت واضحة في خدي بشدة، فأشحت بوجهي وأنا صامتة عازفة عن التعليق.. كيف أعلق على كلمات مثل هذه وأنا لا أعرف مدى صحتها؟..

سمعت أمجد يضحك قائلاً "لست أدري احمرار خديك هذا لشدة خجلك أم لشدة غضبك مني.. وإن كنت أتمنى أن تكون الأولى فالتالية عواقبها وخيمة"

نظرت له بجدية وقلت دون أن أبدي انفعالاً في صوتي "اسمع.. أنا لست مستعدة للألعاب اللفظية هذه.. أنا مشغولة بأشياء أهم من محاولة سبر أغوار جملك المبهمة"

ابتسم معلقاً "لا داعي للحيرة.. اسأليني وأنا سأفسر كل ما استغلق عليك ببساطة"

زفرت بضيق، فوقف قائلاً "لا داعي لإظهار كل هذا الضيق من وجودي.. سأذهب الآن، وأتمنى أن تنضمي إلينا ولا تنعزلي بمفردك هنا"

لم أجه بكلمة، فغادر متجهاً إلى موقعه المعتاد، فيما بقيت في مكاني أزفر بضيق من جديد.. أخبرته أنني بغنى عن هذه الألعاب، فلم لا يتركني بمفردي ويعتقني من هذه الحيرة التي تلفني؟..

بعد يوم، جلست مع بسمة في أبعد بقعة يمكننا الجلوس فيها من المسكن وأنا أتأمل الغابة القريبة.. وقربي بسمة صامتة لصمتي وهي تتأملني بين فينة وأخرى، ثم كسرت الصمت كعادتها في إفساد

اللحظات الهادئة وهي تسألني "حمراء.. ما حقيقة تلك الومضات التي تؤلك بين وقت وآخر؟ لا يشتكي أي منا من شيء مماثل.. فما السبب برأيك؟"

كنت قد أخبرتها عن تلك الومضات قبل فترة، فقلت مفكرة "لا أعلم.. إنها ذكريات تغمرنني فجأة دون سابق إنذار.. تشبه الومضات التي تنير العتمة فجأة، وتسبب لي الكثير من الألم المزعج" وضعت بسمه يدها على كتفي مشفقة وهي تقول "لابد أنها تزعجك كثيراً.. بودي لو عثرنا على طريقة لإراحتك من هذا العذاب.."

قلت بابتسامة محدودة "أنا بخير حال وهذه الومضات لا تهمني.. ثم إن أدهم أخبرني أنه قد مر بشيء مماثل من قبل.. لست وحدي في ذلك بالتأكد.."

ظلت قربي صامتة، فتنهدت وأنا أنظر لما حولي.. رغم كل ما يغيظني في هذه الفتاة، ورغم إزعاجها الدائم لي.. إلا أنها فتاة طيبة جداً.. طيبة لدرجة أبدوا أنا معها وغدة بلا قلب.. رغم أنني لم أتلطف معها منذ عرفتها، إلا أنها لم تكرهني لذلك أو تبتعد عني.. فهل يحق لي معاملتها بجفاء كما أفعل عادة؟.. قطع أفكاري صوت مركبة اقتربت من المساكن حتى توقفت في الساحة التي تتوسطها.. كان اليوم هو أول إجازة حظينا بها منذ قدومنا بسبب تعطل خط الحاويات الذي ينقلها للمستودعات تمهيداً لنقلها للأرض، مما أجبرهم على إيقاف العمل في هذا المنجم والانشغال بصيانتها..

لذلك كان قدوم المركبة بالنسبة لنا فعلاً سيئاً وإعلاناً بانتهاء راحتنا النادرة خاصة أن النهار لم ينتصف بعد.. لم أتحرك من موقعي وأنا أرى عدداً من الحراس ينزلون منها محيطين بأحد المساعدين الذي قال بصوت عالٍ "من ستم مناداته عليه بالتوجه فوراً إلى المنجم، والبقية ليبقوا هنا حتى إشعار آخر.."

سمعت بسمه قربي تهمس برجاء "أتمنى ألا نكون نحن.."

نظرنا جميعاً للسوار في أيدينا بتوجس، فمناً من ابتسم براحة لأن شاشته لم تزل بيضاء اللون، بينما تدمر البعض الآخر وهو يرى اللون الأخضر يرسم عليها بوضوح.. فقال المساعد "هيا انطلقوا في وجهتكم دون إبطاء.. أي تأخير سيحسب عليكم"

تأملت سوارى ذو الشاشة الخضراء بشيء من الإحباط، ها هي فرصة نادرة للجلوس بهدوء دون عمل قد سلّبت مني دون سبب.. وسمعت بسمه قربي تقول بخيبة أمل "أوه لا.. لقد نادوني أنا أيضاً.."

ونظرت إلى سوارى معلقة "على الأقل نحن معاً.."

لم يكن هذا مهماً في رأيي، ففي المنجم الكل ينشغل بعمله بشكل تام بحيث لا تغدو هناك أية أهمية للصحة..

نهضنا من فورنا لنتجه للمنجم، والتفتت بسمه خلفها للحظات قبل أن تقول مقطبة "أمجد وأدهم ليسا

قادمين.. كيف ينادوننا نحن الفتيات ويتركون الرجال ينعمون بالراحة؟ هذا ليس عدلاً.."
 قلت دون أن ألتفت "أنت تعلمين أن هذا النداء يتم بشكل عشوائي دون الاهتمام بكونك أنثى أم لا.."
 قالت متذمرة "أعلم ذلك.. لكن هذا ليس عدلاً أيضاً.. أدهم ينظر لنا ضاحكاً بشماته.."
 فقلت مبتسمة "لا تدعي هذا يزعجك.. سيأتي دوره يوماً ما.."
 سرنا مع البقية الذين لا يتجاوزون العشرين بين رجل وامرأة، وأنا أحاول التفكير في سبب استدعائنا
 للمنجم وهو خاضع للصيانة.. لكن يبدو أنهم بحاجة لعمال السخرة لأداء بعض الأعمال اليدوية التي لا
 يقدر عليها المهندسون المختصون بتسيير عمل المناجم..
 أثناء سيرنا القصير، سمعت جداراً حاداً بين رجلين خلفي سرعان ما تطور لنجدهما يتدافعان بعنف..
 هربت بسمة من طريقهما بينما تلقيت أنا لكمة على رأسي جعلتني أصيح فيهما "هلا كففتما عن
 هذا؟ سأشكوكما للحراس.."
 شعرت بنبض قوي في رأسي من أثر الضربة جعلني أقف، فيما تجاوزني الرجلان وهما يتبعان
 البقية وأحدهما يشتم الآخر بما لا أسمعه.. بدت الأصوات حولي مبهمه، بينما شعرت ببسمة تلمس
 كتفي وهي تقول ما لم أستوعبه أيضاً.. تحولت النبضات القوية إلى ومضات مؤلمة وأكثر وضوحاً من
 السابق.. شعرت باختلال توازني وأنا أحاول استعادة انتباهي.. لكن تهاوى وعيي أكثر فأكثر ولم
 أشعر بساقيّ تحتي وأنا أفقد وعيي..

كان الجسد ملقى أرضاً أمامي.. الدماء الدافئة تبلل الشعر الأبيض والسجادة الغليظة تحته مفسدة
 لونها العاجي الجميل..
 وحتى نور القمر المتسلل من النافذة بدا مصطبغاً بحمرة مخيفة وهو يسقط على المكتب الفخم
 والكراسي الباذخة في الغرفة الواسعة..
 شعرت برجفة في أطرافني.. وبزغلة في عيني من الرعب.. متى؟ وكيف؟
 نهضت واقفة من الكرسي الوثير الذي غاص جسدي فيه، وشعرت بشيء بارد في قبضتي.. ظلمت
 أحرق بعدم استيعاب في المسدس الرابض في يدي، ثم بذعر رميته أرضاً..
 وبعد أن فهمت تقريباً ما جرى، عدت إلى المسدس وأخذت أمسحه بطرف ثوبي بعصبية، ثم رميته
 مجدداً ووقفت أنظر لما حولي وأنا أرتجف..
 يجب أن أهرب.. يجب أن أهرب الآن ولا أعود إلى هذا المكان مرة أخرى..

بدأت الشرفة خلف المكتب هي الحل الوحيد، فأسرعت إليها وفتحتها متأملة الحديقة الساكنة المظلمة..
ثم خرجت مغلقة الشرفة خلفي وأنا أشعر بنبض قوي في رأسي ولده الخوف المذعور..
ما أفعله بلا جدوى حتماً.. هناك عشرات الأدلة خلفي والتي ستدل علي بسهولة..
لقد خدعوني.. تبا لهم.. خدعوني ببساطة تامة..

كنت قد فقدت وعيي فلم أشعر بشيء من حولي وجسدي يسقط أرضاً.. لم أر بسمه التي ظلت
تناديني مرتاعة قبل أن تنطلق بحثاً عن أدهم أو أمجد.. ولم أرها وهي تعود وخلفها أمجد وتشرح له
بصوت مرتجف ما حدث لي.. ولم أر نظرات أمجد القلقة وهو يتفحصني بسرعة قبل أن يقول لها “لا
يبدو عليها أي مرض ولا تشكو من إصابات واضحة.. يجب أن ننقلها إلى المسكن بسرعة”
لم أر بسمه وهي تغادر بسرعة بحثاً عن أدهم تاركة إياي وحيدة مع أمجد.. ولم أر نظرة أمجد وهو
يتأملني بقلق واضح ويلمس خدي بظاهر يده هامساً “ما الذي جرى لك يا فتاة؟ لقد أثرت ذعري..”
وقطعاً لم أره وهو يحملني بخفة بذراعيه ويعود بي إلى المسكن دون أن ينتظر أدهم.. الكاذب.. ألم
يدع قبل قليل عدم قدرته على حملي وحده؟.. أم هل فعل؟..

استيقظت بعدها بنصف ساعة لأجدني على سرير في غرفتي، وبقربي بسمه التي امتلأت عيناها
بالدموع وهي تنظر إلي.. وأدهم الذي وقف قريباً متمللاً بقلق ظاهر.. أمجد لم يكن في الغرفة ولم
أهتم بالسؤال عنه.. نهضت جالسة فهبت بسمه توقفني هاتفة “لا تتحركي.. أنت لازلت متعبة”
قلت وأنا أعتدل في سرير “أنا من يمكنه أن يقرر شيئاً كهذا..”
فقال أدهم “لم فقدت وعيك اليوم؟ ما الذي حدث لك؟”

صمت دون أن أجيب وأنا أتذكر تلك الومضات المؤلمة.. لكنني أرجأت التفكير بها وأنا أقول هازة كتفي
“لا أدري.. سوء تغذية ربما؟.. شعرت بدوار بسيط بعد الضربة التي أصابتني ولم أدرك سوء حالتي
حتى فقدت وعيي فجأة”

لم يعترض أحدهما على عذري الهزيل وبسمه تقول “يجب أن تهتمي بصحتك أكثر.. سأحضر لك الليلة
الكثير من الطعام ولن أرضى بأن تتركي منه شيئاً”
ابتسمت ابتسامة بدت ممتنة لعينيها فيما هي ابتسامة تعجب لدى تصديقها لكذبي.. لم أشهد طيبة
كهذه من قبل وهذا شيء يثير العجب والسخرية بالفعل..
سمعت أدهم يقول “انتبهني لنفسك يا حمراء.. لن يسامحك إن تهاونت في العمل مرة أخرى”

قلت وأنا أحاول الخروج من سريري "كم بقيت فاقدة للوعي؟ يجب أن نذهب للمنجم يا بسمه قبل أن نلقى عقاباً على تأخرنا"

قالت بسمه وهي تقف بسرعة "لا تقلقي.. لقد شرحت للمساعد ما حدث لك.. وهو قد سمح لك بالراحة بعد أن تطوع أدهم لأخذ مكانك في العمل.."

ثم قالت لأدهم "لنذهب.. الآن قد اطمأنتُ عليها، ويجب أن نسرع عائدين للعمل.."

قلت لأدهم قبل أن يغادر "شكراً لك يا أدهم.. أنا مدينة لك بذلك"

لوح بيده دون أن يجيب وهو يتبع بسمه خارجين من المسكن وبسمه تتمنى لي أن أنعم بالراحة.. لكن أنى لي هذا وأنا أتذكر ما ومض في ذهني هذا اليوم؟ الآن، بعد رحيلهما، أستطيع أن أترك تلك الذكرى تتسلل إليّ شيئاً فشيئاً وأنا أقطب وأفكر محاولة تمالك نفسي لئلا أصاب بالذعر..

استعدت تلك اللقطات محاولة تذكر أي شيء قد يدل على ما حدث.. لكن لم أتذكر أي لحظة مما سبق اللحظة التي فتحت عينيّ فيها لأجد الجسد الهامد أمامي.. هل أنا من قتله؟ هل أنا حقاً من أطلق النار؟.. لكن من هو؟ ولماذا فعلت ذلك حقاً؟.. كل ما أذكره هو حديثه لي، وبعدها فتحت عيناى لأجد المنظر البشع أمامي.. فما الذي حدث حقاً؟..

أمسكت رأسي أحاول منع الصداغ الذي بدأ يعود لي.. وتنفست بعمق محاولة تمالك نفسي.. هل أنا قاتلة؟ أل هذا تم استقدامي إلى الكويكب لأقضي فترة عقوبتي فيه؟.. لا يوجد سبب آخر..

قاطعني صوت أمجد الذي قال بنبرة قلقة "هل استيقظت من غيبوبتك؟ لقد أقلقنتني كثيراً.."

نظرت لأجده واقفاً قرب الباب، فقلت بدهشة "ما الذي جاء بك الآن؟ أنت حتى لم تطرق الباب..!"

قال وهو يقترب من سريري "ظننتك لازلت في غيبوبتك.. وأن بسمه في المسكن معك.."

قلت مقطبة "لقد عادت لعملها قبل قليل.. يحسن أن تذهب أنت أيضاً فلا معنى لوجودك هنا"

لكنه جلس على حافة السرير متسائلاً "هل أنت أحسن حالاً؟ ما الذي سبب لك تلك الغيبوبة؟"

قلت هازة كتفي "سوء تغذية.. لا شيء مهم"

قطب وهو يتأمل ملامحي مفكراً.. فلم أعلق وأنا صامته أتساءل إن كان سيصدق ذلك كالأخرين.. لكنه قال "هل تمزحين؟ أنت قوية الجسد ومهما ساءت تغذيتك في الآونة الأخيرة فلن يسبب هذا إغماؤك.. ما السبب حقاً؟"

قطبت بدوري قائلة بغیظ "لا شأن لك.. اتركني وارحل رجاء.."

لانت ملامحه قليلاً وهو يقول بصوت خافت "ما الذي حلّ بك يا حمراء؟ أصبحت تعامليني بجفاء شديد.. ما الذي بدر مني ليسيء لك بهذا الشكل؟"

قلت بحدة "لا شيء.. فقط يغيظني تدخلك الزائد عن الحد في كل الأمور.. يجب أن تدرك متى كان

المرء بحاجة للاختلاء بنفسه قليلاً..”

ظل ينظر لعينيّ بغير تصديق، فقلت من جديد “لا أحب من يتدخل في أموري طوال الوقت.. فكفّ عن إزعاجي”

بدا أنه سيعترض على هذا، لكن عوضاً عن ذلك فقد نهض وخطا خطوتين للخارج قبل أن يتوقف فجأة للحظات.. ثم وجدته يعود إليّ بخطوة واسعة ويمد يده فيلمس خصلات شعري الخلفية بخفة.. ثم ابتسم وقال “تلك كانت حشرة..”

قلت بغيظ “أتمزح معي؟ اخرج الآن”

علت وجهه ابتسامة وهو يغادر بصمت.. فيما رفعت يدي وعبثت بخصلات شعري الخلفية.. ربما كان ذلك بحثاً عن أي حشرة قد تكون فيه حقاً.. أو لأزيل ملمس أصابعه منها لعل حنقي يزول معها..
